القاهرة

أدب . فكر . فن .

تصدر منتصف كل شهر — العدد ٧٤ ● ٢١ ذو الحجة ١٤٠٧هـ ● ١٥ أغسطس ١٩٨٧م — AL-QĀHIRAH

- بيكاسو فى نظر يونج
- المكونات الرئيسية لخبرة التذوق الفنى
- الذاكرة، والزمن، والرواية
- الوراثة فى مسرح إبسن

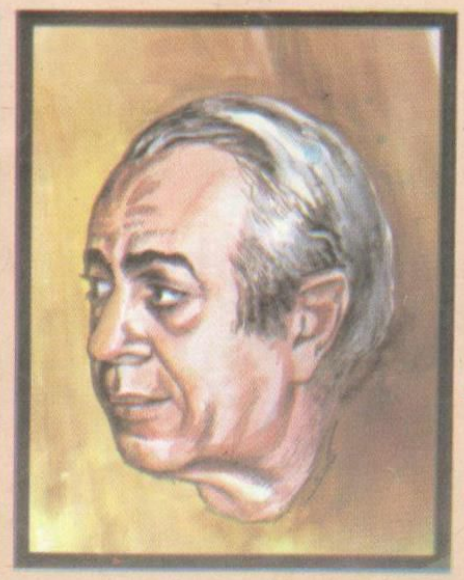

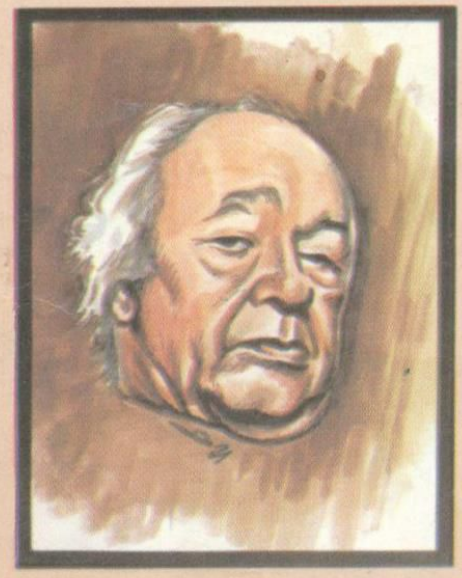

قصيدة: لم الرحيل فى الضحى
حسن فتح الباب

حوار مع :

- يوجين أونيسكو
- د. يوسف عز الدين

قصة ● شعر ● متابعات
رسائل جامعية ● من المكتبة ● سينما
من المجلات ● فنون تشكيلية

مهرجان موسكو السينمائى الدولى الخامس عشر

الثمن ٥٠ قرشاً

رثاء إلى الصديق محمد البخارى.
مجلة القاهرة أغسطس ١٩٨٧

لم الرحيل فى الضحى

إلى الشاعر محمد البخارى

حسن فتح الباب

ما كان لى أن أرثيكْ
وأنت أبقى أنت أدنى
من دَمِى
طيفك أَحْنَى . . إن تزرْنى يشتعلْ
رمادك النَّدىُّ . . تنطفئْ
جمرةُ عتبى . . ألمى
أنك أخلفتَ الذى وعدتْ
نمضى معا
نبقى معا
ودَّعت ما قَلَيْتْ
رحلتَ ما ودَّعتْ
لِمَ الرحيلُ فى الضحى
من قبل موعدك ؟
يا زمنا ضيَّعَنا وضاع
يا وطنا رَوَّعنا
عشْقا إلى الممات
نفديك لن تباعْ
يا أيها الربُّ المُطاعْ

* * *

وأنا على العهد القديم
أنت المقيم
أنا جناحك اليتيم
آتيك مجنونا حكيماً . . ألتقيكْ
غيما لنارى . . تلتقينى جنَّة مُسْتَعِرَةْ
يا مَلكَ الأعراف
فردوسك المدينة الحبيبة المُوصَدة الأبواب
سرٌّ خضيب
جحيمى الحرية الغريبة الديار والصحاب
سِحْرٌ مُرِيب
لأنك امتلكت روعة اليقين لم تكن
قِدِّيسهم
لأنك الملهم سرَّ الخلق سحرَ الشحنةِ المُفَجَّره
باعوك للأشباح
مُغَلَّلا مرتهَناً مَلكا على الأطياف
من ذا رآك أمسِ من كُتَّابنا القياصره
من ذا يراك اليومَ من كهاننا السماسره
وحين جئت رَبَّهم توافدوا ليشهدوا
وليمة الفراشة المحتضره
والقزّ يكسو حاملَ الأسفار
النهر لا يجف
والسَّدُّ لا ينهار
لكنما فرعون
مازال يحدو السَّحَرَه

* * *

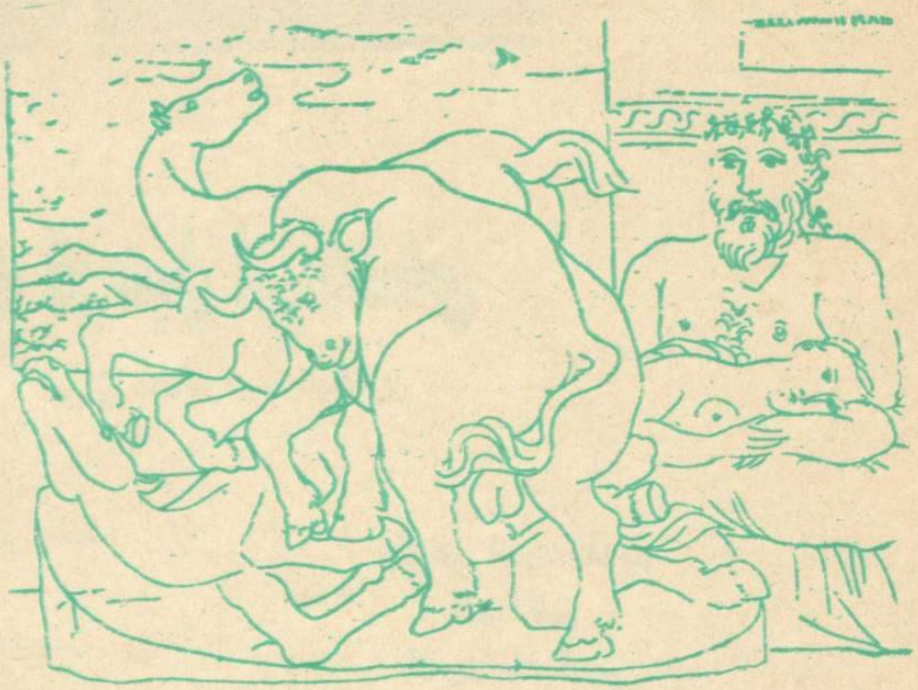

● منظر صراع بين ثور وحصانين

اللحظة سوف أتحدث عما وجدته فى المادة التى يقدمها مرضاى إن الـ (نيكيا) لا تفتقر إلى الهدف ؛ إنها ليست سقوطاً تهديمياً خالصاً فى الهاوية السحيقة لكنها (كاتابازيس) = (وهو اسم للعمليات التى تنتج عن التعتيم والتحلل للبروتوبلازم فى داخل العملية الحيوية ، وهى التى تقوم فى مواجهة الـ (أنابوليزم) وهو اسم يطلق على بناء البروتوبلازم من خامات أقل تعقيدا والعمليتان معا يعرفان باسم (ميتا بوليزم) . إن الـ (نيكيا) هى هبوط إلى كهف التكريس والمعرفة السرية .

إن الرحلة عبر التاريخ النفسى للبشرية ؛ كان موضوعها هو استعادة الإنسان كاملاً عن طريق إيقاظ الذكريات فى الدم . كما أن الهبوط أو الرجعية (إلى الأمّهات) = (وكلمة ــ أم ــ هنا لا ترد بمعناها الحرفى فى اللغة ، بل كرمز لكل شىء يقوم بوظيفة الأم) ؛ قد ساعد فاوست على أن يقيم مرة أخرى ذلك الكل الآثم للكائن البشرى ــ باريس متحداً مع هيلين ــ ذلك الإنسان الكل الذى كان قد تم نسيانه عندما فقد الإنسان المعاصر نفسه فى وجوده الوحيد الجانب . إنه هو الذى سبب فى كل عصور الاضطراب اهتزاز العالم الأعلى ، وسيظل دائما هو السبب فى ذلك .

ذلك الإنسان يقوم معارضا لإنسان وقتنا الحاضر ، لأنه هو الإنسان الذى يكون دائما كما قد كان ، بينما الآخر هو ما يجد نفسه عليه فقط فى اللحظة الراهنة . لهذا فإن القوة المحطّمة والمعارضة = الكاتاباسيز ، والكاتاليسيز = (الكاتاليسيز هى القوة التى يفترض أنها تمارس فعاليتها على قوة أخرى وتتحلل القوة الأخيرة بسبب من ذلك بينما تبقى القوة الأولى كما هى ، كما تطلق الكلمة أيضا على الأثر الذى تحدثه هذه العملية) ، يتبعهما فى حالة مرضاى الإدراك لثنائية القطبين فى طبيعة الكائن البشرى ؛ وإدراك ضرورة وجود الأزواج المتصارعة من قوى الأضداد ؛ ويعقب رموز الجنون التى يتم خوض تجربتها أثناء فترة التحلّل ؛ يعقبها صور تمثل إلتآم الأضداد ؛ كل ضدين معا فى وحدة : النور ، الظلام ، الأعلى ، الأسفل ، الأبيض ، الأسود ، الذكر/الأنثى الخ . وفى لوحات بيكاسو الأخيرة يمكن رؤية (موتيف) اتحاد النقيضين واضحاً وضوحاً بالغاً ؛ وذلك فى وجودها متجاورين تجاوراً مباشراً ، ويتمثل ذلك فى لوحة واحدة رغم خطوط التكسير والتحطيم التى تجتازها ، حتى هذه اللوحة ورغم هذه الخطوط تحتوى على اقتران للأنيما المضيئة ؟ وهى التى تعكس كذلك الألوان الصارخة ، غير المتآلفة وحيث تلك الألوان الوحشية عند بيكاسو فى مرحلته الأخيرة تعكس جميعا ميل اللاوعى للسيطرة على الصراع عن طريق اللجوء إلى العنف فى وحشية الألوان (اللون = الإحساس) .

إن الحال الذى تتبدى عليه هذه الأشياء فى التطور النفسى لمريض ما ليست هى النهاية ولا وهى الهدف ؛ إنما هى تمثل فقط توسّعاً لرؤيته ؛ تلك الرؤية التى تحتضن الآن طبيعة الإنسان كلها الأخلاقية والوحشية والروحية دون أن تشكلها حتى الآن فى وحدة حيّة . لقد تطورت الدراما الداخلية عند بيكاسو حتى بلغت هذه الدرجة الأخيرة التى تسبق الانبثاق ، أما فيما يتعلق بالمستقبل ؛ فلن أحاول أن ألجأ إلى التنبؤ ؛ ذلك أن هذه المغامرة الداخلية هى قضية مخاطرة ؛ ويمكنها أن تؤدى فى أية لحظة إلى وقفة جامدة وقصور عن التقدم ؛ أو إلى كارثة إنشطار ينفجر فجأة ، انشطار لتلك الأضداد المضمومة كل منها إلى الآخر . إن المهرج ليس سوى شخصية مأساوية مبهمة ؛ حتى ولو أمكنه بالفعل أن يحمل فوق ردائه رموز المرحلة التالية من مراحل التطور . إن هذا المهرج هو حقا البطل الذى لابد له من أن يجتاز كل أهوال (هاديس) المهلكة ، لكن هل يمكنه أن ينجح فى ذلك ؟ هذا سؤال لا يسعنى أن أجيب عليه . إن المهرج ليصيبنى بالقشعريرة ، ذلك أنه هو من يعيد إلينا ذكرى ذلك الشخص المبرقش بالألوان ؛ كأنه الأحمق فى (زرادست) لنيتشه ، ذلك الذى يقفز فوق ذلك الراقص على الحبل ؛ ذلك الذى لا يتوقع قفزته تلك (بالياتشى آخر) ؛ وبهذا يجلب على نفسه الموت . عندئذ فاه زرادست بتلك الكلمات التى أثبتت صدقها على نيتشه نفسه ؛ صدقها الذى يثير الرعب :

« ستكون روحك قد ماتت على نحو أسرع حتى من موت جسدك ، فلا تخشى شيئا أكثر من هذا » . أما عمن يكون ذلك المضحك فقد اتضح ذلك بينما هو يطلق صيحته مناديا ذلك الراقص فوق الحبل ، ذلك (النفس الأخرى) : (التى هى بديله) الأكثر ضعفاً ، صارخاً فيه :

« إنك تسد الطريق أمام من هو أفضل منك » . إن هذا (المضحك) إنما هو الشخصية الأعظم ، هو ذلك الذى يحطم القوقعة ، وأحيانا ما تكون هذه القوقعة هى : عقله ◆

اليومَ ينفضُّ السُّرادقْ
تجلو السناجقْ
واليومَ لا تنفضُ سوقُ الصيرفه
صاغوا قلادات العقارب
دقوا طبولا فوق قبر المعرفة
زفُّوا العناكب
واستنفروا للعرس أفَّاقى المواكب
أنت الشفيع المرتجى
أنت البديع المستباح
طاهٍ ولا كل الطُّهاه
ثوب رديد
تُغْنِيه عن عُرْى صلاه
صيد وليد
خير الفدا نعم الزكاه
مدوا الأوانىَ والنمارق
أنت الخِوان
أنت اليدان
أنت الشواء
ما كان أشهى لحمك المقدود
يا ظبى الأراكَ
جسر إلى الأخرى حماكْ
قهر على الدنيا قِراكْ

* * *

النيل أنت القاع يخفى
عن عيون الرغوة الحمقاءِ
والموج الضريرْ
دارَتك الممدودة الرحابِ
من نداك كعبة الرفيق
ظل فقير
مُلْك وثير
سقيفة الوداد فى الضراء والسَّراءِ
لا سرَّاءَ فى ممالك السنابك المتوجه
يُؤكل لحم الشهداء
فى زمن المرتزقة
عينان تخضلان بالشدو البهيجِ . . بالرمدْ
إرثُ القرى . . . طول السُّرى
دمع السَّوامَى المغرقة
كُحْل العيون المطفأة
بقيَّة المآل تحت الخيمة المهترئه
والقلب ينبوع حجرْ
يعطى ويفنى ألقا
يفنى ويبقى حُرَقا
يا عطش البحار
ويا دَمَ الأنهار

* * *

باريسُ يا ناعمةَ الليلاتِ
مُرَّةَ على الغريب
مزار عاشق شرود
ظُلَّةَ شاعرٍ طريد
يا سحِرَهاً بالعَبَق الحَنُون
مِسَلَّة مغتربه
قيثارة ملتهبة
والغيمُ والشعاع يا حُلْمَ السَّجِينِ
يا مِراحَ المُتْرَفين
باريسُ يا بهجَتنا أكبادنا المنفطره
غرسَ مآتم العُناه
دَوْحةَ أحباب الحياه
(عيونَ إلزا) وجنونَ الأمسيات الشاعرة
مقاصلَ الأحِبَّة المهاجره
باريسُ يا ترتيلَ غانيه
يا عاشقَيْن افترقا
وثائريْن اعتنقا
تُراكِ أصغيتِ إلى خُطْوَتِه
دانيةً كرعشة الندى على كئوس داليه
وانيةً فوق رصيف (السينِ)
شمعة على الغروبْ
خفقتِه . . ابتسامتِهْ
لخطو طِفلتينْ
لهمس عصفورينْ
فى غابة العشاق كلُّ اثنين يرفُلانْ
فى ثوبه الحانى
فى قلبه العانى
باريس كنتما خميلَتَىْ غَرامْ

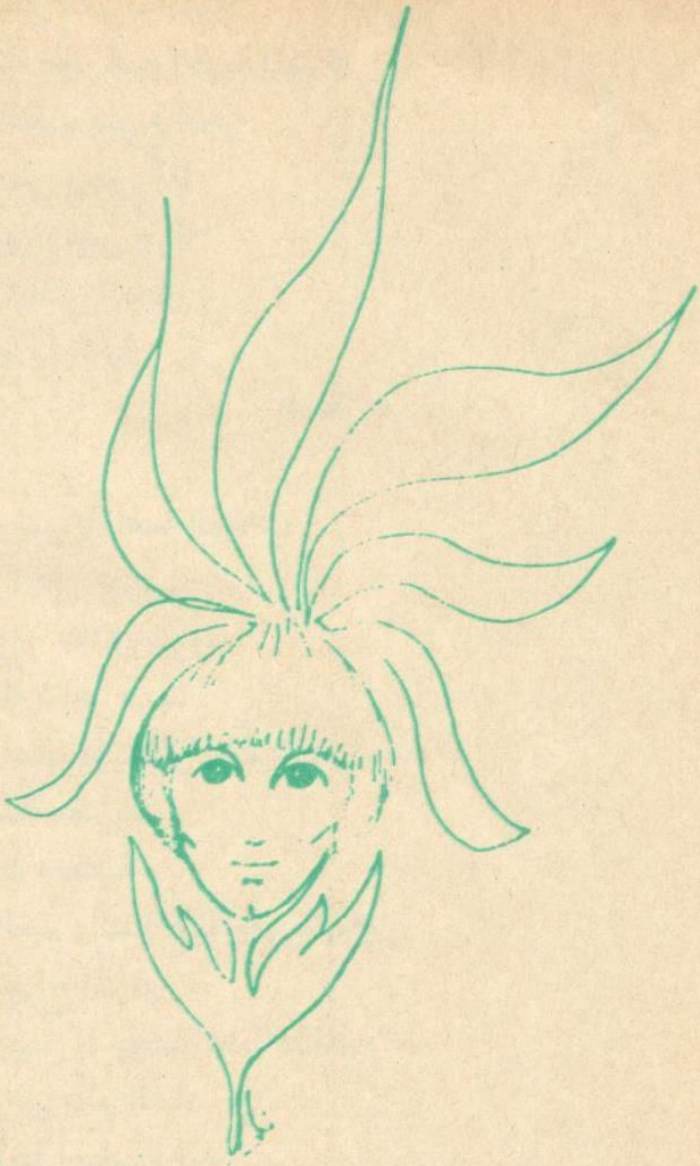

فأين أخفيت لديك زهرَتهْ
نجمته الخضراء
غُنْوتَه الخافتة العذراء
جبينه المُغَضَّنَ الأغر
لوحتَه بلا إطار
وصمتَه الكنار
ليلتَه الأسرار
وحُلْمَهُ النهار
والنظرةُ انبهار
شَجىً . . مُنىً . . دُوَار
سمعتِ رِجْفته ؟
أم إنكَ الوردةُ والسِّكِّينْ
الطاعنُ الطعِين ؟
حديقة الوهم أم الثوار ؟
(بودلير) أم (إيلوار) ؟

باريس يا عشق (أراجونَ)
ويا فجر (البخاريّ) الجميل
يا عمره القصير يا جناحه المحلق الأسير
يا خوفه انكساره إصرارهُ
يا ضعفه جسارتَهْ
مرارَتهْ
إشراقتَهْ
القمر القبر السماء
الجنة الأفعى
(ناظم) والمنفى
مأوى ولا مأوى
باريس يا باريس يا أيامه ليلاته الحِرار
أفديكِ إنْ أرجعتِه غمامةً مسحورةً
ثوبا على صبيةٍ نيليَّة الخدين
تمشى على استحياء
حتى تدارى شبَق النهدين
من عضة الذئاب
وعضة الأمعاء
أفديك إن أرجعتهِ أغنيةً
حتى يحين الموعد القريب
لقاؤنا الحبيب

* * *

ما طوفتَ ماطوَّفتَ هل رأيتْ
غير انكسار الوتر الرخيم
غير انتصار الناعق الرجيم
غير انتحار الشرفاء
يا شهقة الناى الحزين ساعة الأصيل
يانزفة الشادوف تحت الخشب المسنونِ
تحت الطينْ
يا شجَن الكافورة الشامخة الجرداءَ
ياصفصافةً خضراء
تظلنا إذا قسا الهجير
غمامة لابن السبيل يا صَفَّى الضعفاء
يا بلبلِ العش الكسيرِ يا شهيداً
يانجىَّ الغرباء

* * *